الدرس (07): ترجمة المصطلح البلاغي

تمهيد:

البلاغة من علوم الدرس اللغوي قديما وحديثا، وقد شهدت اتصالا معرفيا بعدة علوم لغوية أخرى، لكنها سرعان ما استقلت بعلومها الثلاثة؛ المعاني، والبيان، والبديع، وشأنها شأن باقي مباحث اللغة انفردت بمصطلحاتها، غير أن ترجمة المصطلح البلاغي لم تخرج عن إشكالية ترجمة المصطلح اللغوي إجمالا من حيث وضع المقابل العربي، وتعريب المصطلح نفسه، دون الاحتكام إلى علة مصطلحية ظاهرة.

البلاغة وعلومها:

البلاغة قبل أن تنتقل إلى مستوى العلم؛ هي ظاهرة قبل ذلك يلتمسها الكلام، ويطلبها الخطاب؛ ذلك أن «الأديب حين يستخدم اللغة، يقدم ويؤخر، يعرّف وينكر، ويذكر ويحذف، ويستخدم تلك الأداة من أدوات الربط دون غيرها، وهذه الوجوه من الكثرة والتعدد، كما هو معروف، وهو يتوخى الوجه المناسب للمعنى الذي يعبر عنه، وتتوقف البلاغة أو عدمها على إصابته للوجه المناسب، أو وقوعه دونه»[1].

والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والذكر والحذف، وغيرها من مراتب البلاغة، ومقاماتها، خدمة لإيضاح المعنى، وبيانه، وتجليته ببديع اللفظ، ومحسناته، وفي ذلك اختلف الكتاب وتفاوت الخطباء، وأجاد الأدباء وثبتت براعتهم، دون أن يمنع ذلك من وجود بعض العثرات فلا يسع المجيد في بلاغته أن يكون مجيدا على الدوام.

أما عن الاشتغال بعلم البلاغة؛ بغض النظر عن العمل بما تقتضيه مباحثها فإن «البلاغي لا يؤرخ للأدب، ولا يتتبع الظواهر الأدبية ليدرس تطورها، ولكنه وصّاف للجمال في العمل الفني اللغوي، والبلاغة عنده، أدوات تتصل بالتراكيب اللغوية، أو بالصور الفنية، أو بالإيقاع الموسيقي»[2].

تشتمل البلاغة بوصفها علما عاما على ثلاثة علوم فرعية، وهناك من يعدها من مراتب الفنون؛ متمثلة في المعاني، والبيان والبديع، وقد اجتهد الدرس اللغوي العربي في ضبط مباحثها بالقاعدة، والتمثيل لها، مع التأكيد على تفاوت أحوال الكلام فيها؛ وهذا بيانها:

[1]– توفيق الفيل، بلاغة التراكيب – دراسة في علم المعاني، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1991، ص10.

[2]– منير سلطان، بديع التراكيب في شعر أبي تمام، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، ط3، 1997، ص21.

1. المعاني: علم المعاني بإجماع أهل الاختصاص دال على جميع الأحوال، والسياقات التي يأتي عليها اللفظ في مطابقته ما يقتضيه الحال[1]؛ وهو فرع من فروع البلاغة؛ يتناول «تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان، وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»[2]؛ أي الجملة من حيث إفادتها المعنى المقصود، ودلالتها عليه.

2. البيان: من علوم البلاغة، يشتغل أكثر شيء على صناعة المعنى؛ و«يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه»[3]؛ على سبيل الكشف، والظهور، بقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بأساليب مختلفة، تتفاوت من حيث وضوح الدلالة العقلية، ومنه باب في التشبيه؛ يكشف عن عقد المماثلة بين طرفين أو أكثر؛ لاشتراكهما في شيء مخصوص، خاصة ما كان منه بليغا حذفت أداته، ووجه الشبه فيه، ومن إضافاته في هذا الفن تقسيمه التشبيه باعتبار وجه الشبه.

3. البديع: وبفن البديع تعرف وجوه استحسان الكلام، وأسرار وقعها في النفس الموقع الذي تستلطفه، وترضاه، لما تضفيه من رونق، وجمال، يتجاوز مطابقة مقتضى الحال، فالبديع عند "القزويني": «علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة؛ وهذه الوجوه ضربان؛ ضرب يرجع إلى المعنى، وضرب يرجع إلى اللفظ»[4].

ولا تقوم بلاغة الكلام بفن من هذه الفنون، ولا بعلم منها دون غيره، وإنما كمال البلاغة من اللقاء القائم بينها، فلا يكون الكلام بليغا في معانيه دون بيانه، أو العكس، ولابد من التوجيه اللفظي، أو المعنوي على سبيل التحسين الذي يقتيضه حال السامع.

ترجمة المصطلح البلاغي:

إن مصطلح البلاغة من المصطلحات القديمة في الدرس اللغوي؛ وقد استعمله العرب والغرب معا في بحوثهم؛ إلا أن « كلمة بلاغة في اللغة العربية تلتقي اليوم مع كلمة ريطورية في التراث البلاغي الغربي المتحدر من

[1]- ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 23.

[2]- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق. نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص 161.

[3]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص163

[4]- نفسه، ص 255.

الثقافة اليونانية واللاتينية عامة (rhétorique) في اللغة الفرنسية، و(rhetoric) في الإنجليزية، وليست كلمة ريطورية أو ريطوريقا، كما عرّبها فلاسفتنا القدماء، هي وحدها التي عاشت في زحام مع مفاهيم أخرى تنازعها المجال الخطابي (بالكسر)، بل إن كلمة بلاغة العربية قد ناضلت هي الأخرى طويلا، وبدون يأس، قبل أن تستولي على تلك المساحات الشاسعة الملتبسة التي كثر الطامعون فيها قديما وحديثا، من مناطقة ونحاة ولسانيين وسياسيين وفلاسفة وضعيين ولاهوتيين؛ كل يدعي مشروعية معالجة وظيفة من وظائف الكلام البليغ»[1].

نلاحظ أن مصطلح البلاغة في اللغة العربية، يقابله مصطلح (rhétorique) في اللغة الفرنسية، ومصطلح في (rhetoric) اللغة الإنجليزية، وبالإضافة إلى الترجمة، هناك من اعتمد المصطلح المعرّب ريطوريك أو ريطوريقا.

وقد جاء في باب "أنواع الخطابة وغاية كل منها" في كتاب أرسطو أن الريطورية لا تخرج عن ثلاث حالات؛ ذلك أن الكلام نفسه مركب من ثلاث عناصر؛ القائل، والمقول فيه، والذي نتوجه إليه بالقول، والسامع إما نظارا وإما حاكما؛ والحاكم لا يكون إلا في المستقبل أو في الماضي، والذي يحكم في المستقبل كرئيس الجمع، والذي يحكم في الماضي كالفاحص، وأما الناظر فللقوة، وتعبا لذلك يكون الكلام الريطوري ثلاثة أجناس، مشوري، ومشاجري وتثبيتي، فأما المشير منه فإذن ومنع، على أساس أن الذين يشيرون في الخواص أو العوام لا يقصدون إلا الإذن أو المنع، في حين أن التشاجر فيه الشكاية أو الاعتذار، والذين يتشاجرون لا يصدر عنهم غير ذلك، والمثبت لا يكون إلا في حال مدح أو ذم[2].

وقد وظف عبد الملك مرتاض مصطلح البلاغيات مقابلا للمصطلح الأجنبي (rhétorique) وهو بصدد الإشارة إلى أثر كتاب أرسطو[3]، وكذا الاشتغال بتصوراته في العناية بالبلاغة؛ معنى ذلك أن هناك عدم اتفاق بين المترجمين بشأن هذا المصطلح الأجنبي؛ إذ نجده تارة يقابل مصطلح البلاغة، وتارة أخرى مصطلح البلاغيات.

---

[1]– محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2012، ص35-36.

[2]– ينظر: أرسطو طاليس، الخطابة (الترجمة العربية القديمة)، تح. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات (الكويت)، دار القلم (بيروت) لبنان، 1979، ص16-17.

[3]– وقد اختلف في ترجمة عنوان هذا الكتاب نقلا عن الترجمات الأوروبية للأصل الإغريقي؛ في حين اقترح مرتاض مصطلح الشعريات مقابلا للمصطلح الأجنبي (poétique) بدلا من مصطلح فن الشعر الذي يقابله المصطلح الأجنبي (l'art de poésie). ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة (متابعة لجماليات الأسلبة إرسالا واستقبالا)، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2010، ص25.

وقد مرّ مصطلح البلاغة أو "ريطوريك" في اللسانيات العربية انتقالا من اللسانيات الغربية عبر الترجمة أو التعريب بثلاثة مفاهيم أساسية؛ هي[1]:

1- **المفهوم الأرسطي**: تختص البلاغة بالإقناع وآلياته؛ ولهذا نجدها تشتغل على النصوص الخطابية في المقامات (المشاورة، والمشاجرة، والمفاضلة) وهي بهذا المعنى تقابل مصطلح بويتيك (poétique) الفرنسية، و(poetics) الإنجليزية، الذي يتعلق بالخطاب المحاكي التخييلي المتمثل في الشعر حصرا.

2- **المفهوم الأدبي**: تبحث البلاغة في صور الأسلوب المتنوعة، وهو المفهوم الذي ساد طويلا عبر التاريخ، وهذا ما ذهب إليه رولان بارت في محاضراته عن تاريخ البلاغة القديمة.

3- **المفهوم النسقي**: البلاغة علم يشمل التخييل والحجاج معا؛ وقد حدث أن تراجع البعد الفلسفي التداولي للبلاغة في مقابل تقدم البعد الأسلوبي حتى صار الموضوع الوحيد للبحث البلاغي، وحدث أن قامت نهضة بلاغية تهتم بالجمع بين المجال الأدبي حيث يهيمن التخييل، والمجال الفلسفي المنطقي حيث يهيمن التداول.

أنواع البلاغات:

والبلاغة بلاغات – إن جاز المصطلح – فهناك البلاغة النقدية (rhétorique critique) في اللغة الفرنسية، و(critical rhetoric) في الإنجليزية؛ وتهتم بدراسة الآثار البلاغية دراسة علمية أو أقرب ما تكون؛ في تفسيرها للأدب وتذوقه[2].

وشهدت البلاغة تحولا كبيرا في اهتماماتها؛ حيث عنيت بالتواصل عبر الثقافات واللغات المختلفة؛ فظهرت حقول معرفية جديدة في هذا السياق مثل البلاغة التقابلية، والبلاغة عبر الثقافات؛ التي تدرس أشكالا من التواصل الثقافي من منظور بلاغي؛ حيث تتتبع الأبعاد البلاغية للتواصل الكتابي بين مختلف الثقافات واللغات، وكذلك البلاغة المقارنة (comparative rhetoric) التي تقارن بين مختلف المعايير والمبادئ البلاغية في الحضارات القديمة خاصة[3].

[1]- ينظر: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص11-12.

[2]- ينظر: بسام بركة ومي شيخاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية (عربي-إنكليزي-فرنسي)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، شباط (فبراير) 1987، ص97.

[3]- ينظر: عماد عبد اللطيف، البلاغة والتواصل عبر الثقافات، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص101.

والبلاغة تتنوع من حيث أنها ممارسة أدبية أولا، وممارسة نقدية تتبع هذا الأثر ثانيا، ليتوسع مجالها أكثر فأكثر فتعنى بآليات التقابل والمقارنة في سياق البحث في احتمالات التواصل والحوار الثقافي العالمي؛ ذلك أن لكل ثقافة رصيدها البلاغي الذي تنفرد به من جهة، وتستعين به تأثيرا وتأثرا في علاقتها بالثقافات المزاحمة من جهة أخرى.